منهج أهل السنة في مدافعة الغلو في الدين

علي بن حسين يحيى موسى*

مقدمة

يقوم الإسلام على منهج الوسطية والاعتدال في التصورات والاعتقادات والعبادات والأخلاق والسلوك والمعاملات والتشريعات. فالوسطية إحدى خصائصه العامة والرئيسة التي تميز بها عن الأديان السابقة. وقد ميز الله سبحانه وتعالى الأمة المسلمة بكونها أمة وسطاً فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٤٣). ومعنى وسطية هذه الأمة أنها خير الأمم وأعدلها في الأقوال والأعمال، وبهذا استحقت أن تكون شاهدة على جميع الأمم في يوم القيامة.

وإذا انحرفت الأمة الإسلامية عن نهج الوسطية والاعتدال فإنها تقع إما في التقصير وإما في الغلو، وكلا الطرفين مذموم؛ لأن التقصير يقود إلى الانحلال والتفلت من

* الأستاذ المساعد في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة وأصول الدين جامعة الملك خالد – المملكة العربية السعودية.

العبادات والأحكام الشرعية، والغلو يقود إلى الصد عن دين الله وتشويه صورة الإسلام.

يهدف هذا البحث إلى مناقشة نزعة الغلو في الدين والتعرف على المنهجية التي استعملها أهل السنة والجماعة في مدافعتها؛ لأن معرفة ذلك تسهل معالجة الظاهرة المدروسة من جميع جوانبها الفكرية والسلوكية والاجتماعية، فما مفهوم الغلو في الدين؟ ولماذا جاء التحذير منه في النصوص الشرعية؟ وما البواعث والدوافع التي تؤدي إلى ظهوره؟ وما أبرز سمات الغلاة في الدين؟ وما أهم الأسس التي يقوم عليها منهج أهل السنة في مدافعة الغلو؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة هي التي ستظهر لنا أهمية موضوع "منهج أهل السنة في مدافعة الغلو في الدين".

مصطلحات البحث

أ. **المنهج**: المنهج في اللغة: هو الطريق البين الواضح. قال صاحب القاموس: النهج الطريق الواضح كالمنهج والمنهاج.[1] وفي لسان العرب: المنهاج كالمنهج.[2] أما في الاصطلاح فقد اختلفت عبارات العلماء في تعريفه و تحديد المراد به. فمنهم من عرفه بأنه: "فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين "، أو هو: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى تصل إلى نتيجة معلومة".[3]

---

[1] الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق يوسف البقاعي (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ)، ص١٩٠.

[2] ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، د. ت)، ج٢، ص٣٨٣-٣٨٤.

[3] بدوى، عبدالرحمن، **مناهج البحث العلمي** (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٧م)، ص٤-٥.

وهذان التعريفان متقاربان، وكلاهما يشير إلى استخدام عدة وسائل يُتمكن من خلالها إلى الوصول إلى الحقيقة العلمية ونتائجها. ويمكن الإشارة هنا إلى أن الحديث عن المناهج يختلف باختلاف العلوم التي يبحث فيها؛ فإن لكل علم من العلوم منهج يناسبه ويختص به في وضع طرائقه وأساليبه ووسائله وتحديد أهدافه ومسائله.[1]

وما أريد دراسته هنا هو: الطرق والوسائل المنهجية والتطبيقات العملية التي استخدمها أهل السنة في دفع ظاهرة الغلو في الدين بمظاهره الفكرية والسلوكية والاجتماعية، وذلك من خلال فهمهم لحقيقة الإسلام ومقاصد الأحكام الشرعية، وقواعد الدين الكلية، مدعماً ذلك بما جاء عنهم من أقوال علمية ومواقف عملية وكيفية تنـــزيلها في الواقع الذي عاشوا فيه، والنتائج التي توصلوا إليها. فكل ذلك يضيء لنا الطريق ويسهل علينا التصدي لدفع هذه الظاهرة ومعالجتها من جميع جوانبها الفكرية والسلوكية الاجتماعية وتجنب آثارها المدمرة للفرد والمجتمع.

ب. أهل السنة: تأتي السنة في اللغة العربية بمعنى: الطريقة والسيرة، حميدة كانت أو ذميمة.[2] وعلى هذا المعنى جاءت بعض النصوص الشرعية ومنها:

قول الرسول ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنه فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».[3] قال ابن الأثير: "وقد تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها والأصل فيه الطريقة والسيرة"،[4] وقول الرسول ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»[5]. أي طريقتهم.

---

[1] انظر مثلاً: أبو سليمان، عبد الوهاب، **مناهج البحث في الفقه الإسلامي، خصائصه،ونقائصه** (بيروت: المكتبة المكية ودار ابن حزم، ط١، ١٤١٦هـ)، ص١٥-١٦.

[2] مجموعة من العلماء،، **المعجم الوسيط** (إستانبول: المكتبة الإسلامية، ١٣٨٠هـ)، ص٤٥٦.

[3] مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم** تحقيق وضبط محمد فؤاد عبد الباقي (الرياض: دار المغني، ١٤١٩هـ)، كتاب العلم، ص١٤٣٧-١٤٣٨، وابن ماجة، محمد، **سنن ابن ماجة**، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار الفكر، د. ت)، المقدمة، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ج١، ص٧٤.

[4] ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٣، ص٢٢٥.

[5] البخاري، **الجامع الصحيح**، ضمن **فتح الباري** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ)، كتاب الاعتصام، ج١٣، ص٣٧١ الحديث: ٧٣٢٠؛ ومسلم، **صحيح مسلم**، في العلم، ص١٤٣٤، الحديث: ٢٦٦٩.

أما في الاصطلاح: فالسنة لها معنيان، عام وخاص. أما المعنى الخاص فقد تنوعت تحديداته بحسب تنوع العلوم التي تبحث فيها، فقد اصطلح أهل كل علم وفن على تعريف السنة بالمعنى الذي يناسبهم، فللمحدثين اصطلاح خاص بهم، وللفقهاء اصطلاحهم، وللأصوليين اصطلاحهم، وليس مقصودنا من تعريف السنة المعنى الخاص.

وأما المعنى العام للسنة فقد عرفها ابن أبي العز فقال: "السنة طريقة الرسول ﷺ، والجماعة جماعة المسلمين وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتباعهم هدى وخلافهم ضلال".[1] وعلى هذا يراد بالسنة الشريعة الإسلامية الواردة في الكتاب والسنة وفهم الصحابة لهما، فالرسول ﷺ أمر الأمة بالتمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما. فقد جاء في حديث جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: "تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتابَ الله".[2] وفي الحديث الآخر قال ﷺ: «فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة».[3]

وقد بين الإمام ابن تيمية أن طريقة أهل السنة اتباع الآثار الواردة عن الرسول ﷺ واتباع ما جاء عن الصحابة الكرام فقال: "ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي».[4] وقال الإمام أحمد: "أصول السنة عندنا التمسك بما

---

[1] ابن أبي العز، علي بن علي، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ)، ج٢، ص٥٥٤.

[2] مسلم، **صحيح مسلم**، في كتاب الحج، ج٢، ص٨٨٦-٨٩٠، الحديث: ١٢١٨.

[3] مسلم، **صحيح مسلم**، في كتاب الجمعة، ج٢، ص٥٩٢، الحديث: ٨٦٧.

[4] الترمذي، محمد بن عيسى، **الجامع الصحيح**، تصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف (بيروت: دار الفكر، ١٤١٣هـ)، كتاب العلم، ج٥، ص٤٤، وأبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الفكر، د. ت)، كتاب السنة، ج٥، ص١٣-١٥. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (الرياض: البحوث العلمية، ١٣٩٨هـ)، ج٣، ص١٥٧.

كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والإقتداء بهم وترك البدع".[1]

وحث الإمام الأوزاعي على اتباع الصحابة –رضي الله عنهم– والاقتداء بهم، فقال: "اصبر نفسك على السنة، وقفْ حيث وقف القوم، وقلْ بما قالوا، وكُفَّ عما كفوا، واسلك سبيلَ سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم... وهم أصحاب نبيه ﷺ الذي اختارهم وبعثه فيهم، ووصفهم بما وصفهم به قال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ٢٩).[2]

أما مصطلح أهل السنة والجماعة فإن أول من أطلقه الصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وقد جاء هذا المصطلح في مقابلة أهل البدعة. فقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (آل عمران: ١٠٦)، قال ابن عباس: "فأما الذين ابيضت وجوههم: فأهل السنة والجماعة وأولو العلم، وأما الذين اسودت وجوههم: فأهل البدع والضلالة".[3]

وأهل السنة هم الصحابة والتابعون ومَنْ تبعهم بإحسان، قال ابن حزم: "وأهل السنة أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدعة. فإنهم الصحابة –رضي الله عنهم– ومن سلك نهجهم من خيار التابعين –رحمة الله عليهم– من أصحاب الحديث ومن تبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض

---

[1] أبو يعلى، الحسين بن محمد، **طبقات الحنابلة** (بيروت: دار المعرفة، د. ت)، ج١، ص٢٤١.

[2] اللالكائي، هبة الله بن الحسين، **شرح أصول أهل السنة والجماعة**، تحقيق أحمد بن سعد حمدان (الرياض: طيبة للنشر والتوزيع، د. ت)، ج١، ص١٥٤–١٥٥.

[3] المرجع نفسه، ج١، ص٧٢.

وغربها رضي الله عنهم".[1]

فأهل السنة ليسوا محصورين في فئة من العلماء، ولا في طائفة من الطوائف، ولا في مذهب من المذاهب الفقهية، وهذا ما قرره الإمام النووي رحمه الله. فبعد أن نقل الأقوال في تعيين الطائفة المنصورة قال: "يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض".[2] وقال ابن تيمية: "ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم".[3]

ج. الغلو في الدين: الغلو في اللغة يأتي بمعنى الارتفاع في الشيء، ومجاوزة الحد والتشدد فيه. جاء في المعجم الوسيط: غلا السعر وغيره غلواً وغلاءً: زاد وارتفع وجاوز الحد. وغلا فلان في الأمر والدين: تشدد فيه وجاوز الحد وأفرط.[4] وفي القاموس المحيط: غلا في الأمر غلواً جاوز حده، والسهم ارتفع في ذهابه وجاوز المدى.[5]

وأما في الاصطلاح فقد اختلفت عبارات العلماء في تعريف الغلو، وكلها متقاربة في المعنى. ومن تلك التعريفات ما قاله ابن تيمية من أن الغلو "مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في حده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك".[6] وعرفه ابن حجر فقال: "الغلو

---

[1] ابن حزم، علي بن أحمد، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، وبهامشه **الملل والنحل** للشهرستاني (القاهرة: مكتبة الخانجي، د. ت)، ج ٢، ص١١٣.

[2] النووي، يحيى بن شرف، **صحيح مسلم بشرح النووي** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت)، ج١٣، ص٦٧.

[3] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **منهاج السنة**، تحقيق محمد رشاد سالم (الرياض: مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٦هـ)، ج٢، ص٤٨٢.

[4] **المعجم الوسيط**، ج٢، ص٦٦٠.

[5] الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ص١١٨٦.

[6] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، تحقيق د. ناصر العقل (الرياض: توزيع الشؤون الدينية، ط١، د. ت)، ج١، ص٢٨٩.

هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد".[1] وقريب من هذا التعريف ما عرفه به الإمام الشاطبي[2] وغيره.

ولابن عاشور تعريفٌ دقيق للغلو، حيث فرق بينه وبين سد الذريعة فقال: "ومما يجب التنبيه له في التفقه والاجتهاد التفرقةُ بين الغلو في الدين وبين سد الذريعة وهي تفرقة دقيقة. فسد الذريعة موقعه وجود المفسدة، والغلو موقعه المبالغة والإغراق في إلحاق مباح بمأمور أو منهي شرعي أو في إتيان عمل شرعي بأشدَّ مما أراده به الشارع بدعوى خشية التقصير عن مراد الشارع وهو المسمى في السنة بالتعمق والتنطع".[3]

وعلى هذا فالمبالغة في الشيء ومجاوزة الحد فيه لها صور شتى في الدين من حيث فهم النصوص الشرعية وتحميلها من المعاني ما لا تحتمله. وكذلك قد يتجاوز الإنسان الحد ويبالغ في إلزام النفس والآخرين بما لم تأت به الشريعة الإسلامية، أو تكون المجاوزة بتحريم بعض الطيبات المباحة على وجه التبعد، أو ترك بعض الضرورات كالأكل والشرب والنكاح على وجه التبتل. وكل ذلك من الغلو في الدين؛ لأن الغلو قد يكون فعلاً وقد يكون تركاً، وقد تكون المبالغة في مجاوزة الحد في الأعمال، وقد تكون في الأقوال، وقد تكون في الاعتقادات ونحو ذلك.

مفهوم الغلو في الدين

١. التحذير من الوقوع في الغلو

بينت النصوص الشرعية أن الغلو من الأسباب الرئيسة في هلاك الأمم والمجتمعات، ولهذا تنوع التحذير من الغلو وأخذ صوراً متعددة بياناً لخطورته على

---

[1] ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ)، ج١٣، ص٣٤٤.

[2] الشاطبي، إبراهيم بن موسى، **الاعتصام**، تحقيق محمد رشيد رضا (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٥هـ)، ج٣، ص٣٠٤.

[3] ابن عاشور، محمد الطاهر، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تحقيق الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة (قطر: طبعة وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ج٣، ص٣٤٠-٣٤١.

الدين والمجتمع الإسلامي، وفيما يأتي شيء من تفصيل ذلك.

أولاً: حذرت النصوص الشرعية من الغلو في الدين؛ لأنه سبب لهلاك هذه الأمة كما كان سبباً لهلاك الأمم السابقة، فقد كان سبب هلاكهم غلوُّهم في أنبيائهم إذ جعلوهم في منـــزلة الإله الحق، وغلوا في دينهم فتجاوزوا الحدود في ذلك، قال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوْا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ (النساء: ١٧١). قال الشيخ السعدي عند تفسير هذه الآية: "ينهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدين، وهو مجاوزة الحد والقدر المشروع، إلى ما ليس بمشروع وذلك كقول النصارى في غلوهم في عيسى عليه السلام ورفعه عن مقام النبوة والرسالة إلى مقام الربوبية التي لا تليق بغير الله فكما أن التقصير والتفريط من المنهيات فالغلو كذلك".[1] فهؤلاء النصارى غلوا في عيسى عليه السلام، فجعلوه في منـــزلة الإله الحق، فاتخذوه رباً من دون الله تعالى، قال ابن كثير: "فإنهم تجاوز الحد في عيسى حتى رفعوه فوق منـــزلته التي أعطاه الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله".[2]

وقد نهى الله سبحانه وتعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدين فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٧٧). قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أي لا تتجاوزا الحدَّ في اتباع الحق، ولا تَطْروا مَنْ أُمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهاً من دون الله، وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم، شيوخ الضلالة الذين هم سلفكم

---

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (الرياض: دار المغني، ١٤١٩هـ)، ص٢٠٨.

[2] ابن كثير، إسماعيل بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق عبد العزيز غنيم وآخرين (القاهرة: مطبعة الشعب، د. ت)، ج١، ص٥٨٩.

ممن قد ضل قديما".[1]

فإطراء الأشخاص ومدحهم ورفعهم فوق منـــزلتهم والتعلق بهم من دون الله تعالى يعدُّ من مظاهر الغلو في الدين، وهو الذي كان سبباً لهلاك الأمم السابقة. وهذا يقتضي من المسلمين مخالفتهم فلا يقعوا فيما وقعوا فيه، يقول ابن تيمية: "وذلك يقتضي أن مجانبة هديهم مطلقاً أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا وأن المشارك لهم في بعض هديهم يُخَاف عليه أن يكون هالكاً".[2]

بل إن الرسول ﷺ -وهو المعصوم- قد نهى المسلمين عن إطرائه كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم عليه السلام وحذر من ذلك أشد التحذير حتى لا تقع هذه الأمة فيما وقعت فيه النصارى فتهلك كما هلكوا. روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: "سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبدالله ورسوله»".[3]

وحذر الرسول ﷺ أمته من التشدد في الدين منبّهاً على أنه من صفات الأمم السابقة خشية أن تقع فيما وقعوا فيه، فيشدد الله تعالى علينا كما شدد عليهم لما ورد في سنن أبي داود عن أنس رضي الله عنه أنه قال: "إن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع».[4] قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والتشديد: تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب ولا مستحب بمنـــزلة الواجب والمستحب في العبادات، وتارة باتخاذ ما ليس بمحرم ولا بمكروه بمنـــزلة المحرم والمكروه في الطيبات".[5] وروى أبو

---

[1] المرجع نفسه، ج٢، ص٨٢.

[2] ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم**، ج١، ص١٠٦.

[3] أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى: ﴿واذْكُرْ فِيْ الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذا انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ (مريم: ١٦)، ج٦، ص٥٩١، الحديث: ٣٤٤٥.

[4] أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الأدب، ج٤، ص٢٧٦-٢٧٧، الحديث: ٤٩٠٤.

[5] ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم**، ج١، ص١٠٣.

هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة».[1] قال ابن حجر معلقاً على هذا الحديث: "والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب".[2]

وحذر المصطفى ﷺ أمته من الوسائل والوسائط المؤدية إلى الغلو في الدين كاتخاذ القبور مساجد كما في حديث جندب، قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا إن مَنْ كان قبلكم كانوا يتخذون قبورَ أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك».[3] فاتخاذ القبور مساجد من أفعال من قبلنا من الأمم، وهو من الغلو في الدين الذي كان سبباً لهلاكهم، وهذا يقتضي مخالفتَهم حتى لا نهلك كما هلكوا كما جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة جمع: «هلم القط لي الحصى»، فلقطت له حصياتٍ من حصى الحذف، فلما وضعهن في يده، قال: «نعم بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين».[4]

ولخطورة الغلو فإن الرسول ﷺ بين في بعض الأحاديث أن الغلاة في الدين

---

[1] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الإيمان، ج١، ص١٢٦، الحديث: ٣٩.

[2] ابن حجر، **فتح الباري**، ج١، ص١٢٧.

[3] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب المساجد، ص٢٧٠، الحديث: ٥٣٢.

[4] ابن حنبل، أحمد بن حنبل، **المسند**، وبهامشه منتخب كنز العمال (بيروت: دار صادر، د. ت)، ج١، ص٢١٥، ٣٤٧، والحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبد القادر (بيروت: دار الكتب العلمية ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ص٦٣٧-٦٣٨، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي".

سيؤدي بهم غلوُّهم إلى الهلاك، كما في حديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا".[1] قال النووي: "هلك المتنطعون، أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم".[2]

ثانياً: إنكار الرسول ﷺ على بعض أصحابه المبالغة والزيادة في العبادة، حتى ولو كانت المبالغة الزيادة يسيرة والقصد منها إرادة فعل الخير والإحسان، ما دام ذلك يخرج عن حد التوسط والاعتدال والتوازن الذي جاءت به الشريعة الإسلامية. ومن ذلك: حديث الثلاثة الرجال عن أنس بن مالك ﷺ قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».[3]

وروى ابن عباس رضي الله عنهما قال: "بينما كان النبي ﷺ يخطب إذ هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال: النبي ﷺ: «مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صيامه».[4] قال ابن حجر معلقاً على هذا الحديث: "إن كل شيء يتأذى به الإنسان ولو مآلاً مما لم يرد بمشروعيته كتاب أو سنة كالمشي حافياً والجلوس في الشمس ليس هو من طاعة

---

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب العلم، ص١٤٣٤، الحديث: ٢٦٧٠، و أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب السنة، ج ٤، ص٢٠١، الحديث: ٤٦٠٨.

[2] النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج١٦، ص٢٢٠.

[3] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب النكاح، ج٩، ص١٢٩، الحديث: ٥٠٦٣، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب النكاح، ص٧٢٥، الحديث: ١٤٠١.

[4] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الأيمان والنذور، ج١١، ص٧١٨، الحديث: ٦٠٧٤.

الله فلا ينعقد به النذر".[1] وحديث أنس بن مالك ﷺ قال: دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين ساريتين فقال: «ما هذا الحبل؟»، قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ: «حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا كسل أو فتر فليقعد».[2] وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فكلمه في بعض الأمر فقال: ما شاء الله وشئت فقال النبي ﷺ: «أجعلتني لله عدلاً؟ قل ما شاء الله وحده. وفي رواية: أجعلتني لله ندا».[3]

هذه طريقة الرسول ﷺ في الإنكار والتنبيه على الأخطاء مهما كان حجمها والقصد منها ما دامت لم تتجاوز الحد الشرعي، وهذا المنهج هو الذي تربى عليه الجيل الأول من الصحابة الكرام فامتثلوه في واقعهم العملي.

ولعل القصة التي دارت بين أبي الدرداء وسلمان رضي الله عنهما توضح لنا جانباً من التنبيه على عدم المبالغة في العبادة ما دام فيها مجاوزة للشرع وتفويت للحقوق وتضييع للواجبات. فقد زار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال: "ما شأنك متبذلة، قالت: إن أخاك أبا الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، قال: فلما جاء أبو الدرداء قرب إليه طعاماً فقال: كل فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم، قال له سلمان: نم فنام، ثم ذهب يقوم، فقال له: نم فنام، فلما كان عند الصباح قال له سلمان: قم الآن فقاما فصليا. فقال: إن لنفسك عليك حقاً ولربك عليك حقاً ولضيفك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه فأتيا النبي ﷺ فذكر ذلك فقال له: «صدق سلمان»".[4]

---

[1] ابن حجر، **فتح الباري**، ج١١، ص٧٢٣.

[2] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب التهجد، ج٣، ص٤٥، الحديث: ١١٥٠؛ ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين، ص٣٩٤، الحديث: ٧٨٤.

[3] رواه أحمد في **المسند**، ج١، ص٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣.

[4] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الصوم، ج٤، ص٢٦٢-٢٦٣ الحديث: ١٩٦٨.

وهذه النصوص من القرآن والسنة قد دلت على أمور ألخصها في الآتي:

أ. أن الغلو في الدين قد وقع في الأمم السابقة وكان سبباً لهلاكهم، فمثلاً غلا النصارى في نبيهم عيسى عليه السلام وجعلوه في منـــزلة الإله الحق فاتخذوه رباً وعبدوه كما يعبدون الله تعالى.

وهذا يقتضي مخالفتهم ومجانبة نهجهم، حتى لا تقع هذه الأمة فيما وقعوا فيه، فيهلكوا كما هلكوا.

ب.أن الغلو في الدين فيه مخالفة لما جاء به الرسول ﷺ، فالمبالغة والمجاوزة في العبادة مجاوزة للحد الذي جاءت به الشريعة الإسلامية، ولهذا جاء التحذير منه.

ج.منع الإسلام جميع الوسائل والوسائط المؤدية للغلو في الدين من إطراء الأشخاص ومدحهم، وكما منع من المبالغة في العبادة التي تجاوز صاحبها الحد الشرعي فيها، وكاتخاذ القبور مساجد والبناء عليها ونحو ذلك فهذه الوسائل المحذوره وقعت فيها الأمم السابقة فهلكوا.

د. التحذير من الغلو والغلاة، والإنكار على من وقع في ذلك حتى ولو كان غلواً يسيراً ما دامت تلك الزيادة خرجت عن حد الاعتدال والوسطية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية السمحة ويجب على المسلمين التنبه والانكار على تلك المخالفات في بدايتها حتى لا تكبر وتتفاقم وتعظم فيصعب حينئذ إزالتها وقطعها، وهذا المنهج في التنبيه والابتكار هو الذي كان عليه الرسول ﷺ والصحابة الكرام رضي الله عنهم.

هـ. أطلقت النصوص الشرعية ألفاظاً شديدة على الغلاة "هلك المتنطعون"، "إياكم والغلو في الدين"، "من رغب عن سنتي فليس مني"، ونحو ذلك. وفي هذا تحذير للأمة من خطر الغلو في الدين وتنفير النفوس من الوقوع فيه وبيان خطورته على الفرد والمجتمع.

٢. أسباب الغلو في الدين وبواعثه

مما لا شك فيه أن أسباب الغلو في الدين ودوافعه متعددة ومتنوعة، ويدخل بعضها في بعض، ولا يمكن الفصل بينها فصلاً بائناً لتشابكها، وليس من الإنصاف في معرفة تفاصيل هذه الظاهرة التركيز على سبب واحد وتجاهل الأسباب الأخرى؛ لأن الغلو في الدين قد تكون أسبابه دينية فكرية، وقد تكون نفسية، وقد تكون اجتماعية اقتصادية، وقد تكون سياسية، ونحو ذلك.

وقد كتبت أبحاث كثيرة في دراسة تلك الأسباب وتحليلها، غير أني أريد الإشارة في هذا الصدد إلى سبب رئيس لازم هذه الظاهرة من القرن الأول الهجري، وكان سمة بارزة لخروج أول فرقة وقعت في الغلو في الدين وهي فرقة الخوارج، ألا وهو الجهل بحقيقة الدين وعدم الفقه فيه والجهل بمقاصد الشريعة الإسلامية وأحكامها. وقد نتج ذلك عن الأخذ بظواهر النصوص، وعدم رد المحكم إلى المتشابه، والعمل ببعض الجزئيات التي دلت عليها الأدلة الشرعية منفصلة عن قواعد الدين الكلية. وأصبح مدار العمل على ذلك، بل ومن خلالها يحاكم الأفراد والمجتمعات، مما أدى إلى فساد عظيم، فاستُحِلَّت الدماء، وكُفِّر الناسُ، وحُرِّفَت معاني النصوص الشرعية، ووضعت في غير مواضعها، وتكلم الْجُهال. ولو أن القوم أحالوا تلك القضايا على أهل العلم، ورُدَّت تلك الجزئيات إلى قواعد الدين الكلية، ورُدَّت المتشابهات إلى المحكمات، لسارت الأمور في مجاريها الصحيحة، ولكن الله تعالى أراد ذلك ولا راد لحكمه وقضائه.

وقد قصدت إبراز هذا السبب من أسباب الغلو (الجهل بالدين)؛ لأنه المحرك الأول لظهور الفكر الخارجي قديماً وحديثاً، ثم إن له علاقة كبيرة بمسألة المنهجية التي يتناولها هذا البحث، فمن هذا السبب يأتي الخلل الكبير في الفهم والتصور وفي السلوك والعمل، ويكون الانحراف في حياة الأفراد وفي حياة الأمة وعنه تنشأ الانقسامات فيما بينها.

الجهل بحقيقة الدين وقلة الفقه فيه

إن الجهل بحقيقة الدين وضعف البصيرة فيه، وقلة الفقه لأحكامه، وعدم معرفة مقاصد الشريعة وقواعدها من أهم أسباب ظهور ظاهرة الغلو وانشارها بين المسلمين، وليس المقصود بذلك الجهل البسيط؛ لأن هذا الجهل سيؤدي بصاحبه إلى الانحلال والتسيب والتفلت من أوامر الدين، ولكن المقصود الجهل الذي يظنُّ صاحبُه أنه من العالمين وهو في الحقيقة من المتعالمين، وإنما هو يجهل الكثير عن الدين وحقائقه ولا معرفة له بأدلته وبطرق الاستدلال بها في مواضعها الصحيحة، والجمع بين المتعارض منها، وإرجاع جزئياته إلى كلياته، وربط فروعه بأصوله، والغفلة عن مقاصد الشريعة وعدم التفريق بين المتشابه والمحكم، ونحو ذلك.

إن أنصاف المتعلمين الذين يظن الواحد منهم في نفسه العلمَ والاجتهادَ خطرهم على الدين كبير. وقد بين الإمام الشاطبي أن أمثال هؤلاء من أهم أسباب افتراق الأمة، فقال: "أن يعتقد الإنسان في نفسه –أو يُعتقد فيه– أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين، وهو لم يبلغ تلك الدرجة، فيعمل على ذلك بعدِّ رأيه رأياً وخلافه خلافاً ولكن تارة يكون ذلك في جزئي وفرع من الفروع، يعني فروع الدين، وتارة يكون في كلي وأصلي من أصول الدين من الأصول الاعتقادية أو من الأصول العملية، فتراه آخذاً ببعض جزئيات الشريعة في هدم كلياتها حتى يصير منها ما ظهر له بادئ رأيه من غير إحاطةٍ بمعانيها ولا رسوخٍ في فهم مقاصدها، وهذا هو المبتدع".[1]

فالخطر كل الخطر على وحدة المسلمين إذا تصدّر الجهال فأفتوا، وهم ليسوا أهلاً لذلك، ومثل هؤلاء ضررهم على الدين وعلى العباد أكبر من منفعتهم، فيضلون غيرهم وهم يظنون أنهم يهدونهم ويصلحون، بل بجهل هؤلاء وتفريطهم تندرس الشريعة الإسلامية وينسب إليها ما ليس منها، ويكثر التقصير في كثير من المنتسبين لهذا الدين. قال ابن أبي العز: "وإنما وقع التقصير من كثير من المنتسبين إليه (أي إلى

---

[1] الشاطبي، **الاعتصام**، ج٢، ١٧٢–١٧٣.

الرسول ﷺ) فلم يعلم ما جاء به الرسول في كثير من الأمور الكلامية الاعتقادية، ولا في كثير من الأحوال العبادية، ولا في كثير من الإمارة والسياسة، أو نسبوا إلى شريعة الرسول بظنهم وتقليدهم ما ليس منها، وأخرجوا عنها كثيراً مما هو منها، فبسبب جهل هؤلاء وضلالهم وتفريطهم وبسبب عداوة أولئك وجهلهم ونفاقهم كثر النفاق ودرس كثير من علم الرسالة".[1] وزاد ابن ابي العز الأمر وضوحاً فبين أن الجهل بالدليل وسوء الفهم لما جاء به الله تعالى ورسوله هو السبب الرئيس لكل ضلالة وبدعة ظهرت في الإسلام فقال: "بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد".[2]

وللجهل بحقيقة الدين وعدم البصيرة والفقه فيه مظاهر عدة أوجز أهمها:

أ. الوقوف عند ظواهر النصوص وعدم التعمق في فهمها والفقه فيها بما يؤدي بصاحبه إلى الانحراف وسوء الفهم، وحمل النصوص على غير محاملها، فما وقع فيه الخوارج من انحراف كبير وغلو خطير كان نتيجة تمسكهم بظواهر النصوص وتنـــزيلها في غير مواضعها، فكفروا أصحاب المعاصي وكفروا علياً ومعاوية رضي الله عنهما، وقالوا بالخروج على أئمة الجور مع أنهم اتصفوا بكثرة قراءة القرآن وكثرة العبادة والتقشف، فأدّى مترعهم ذاك إلى سفك دماء كثيرة، وحدوث هرج ومرج بين المسلمين.

وفي قتلهم عبدالله بن خباب ﷺ أكبر دليل على اسحلالهم دماء المسلمين وجهلهم بالنصوص الشرعية، فقد دخل بعض الخوارج قرية فخرج إليهم عبدالله بن خباب ذعراً يجر رداءه فقالوا: لم ترع، قال: والله لقد روعتموني قالوا: فهل سمعت من أبيك حديثاً عن رسول الله ﷺ تحدثناه؟ قال: نعم سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنةً القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير

---

[1] ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، ج١، ص٧٤.

[2] المرجع نفسه، ج١، ص٥١٣.

من الساعي قال: إن أدركت ذلك فكن عبدالله المقتول. قال: أيوب ولا أعلمه إلا قال: ولا تكن عبدالله القاتل. قالوا: أأنت سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قال: فقدموه على ضفة النهر فضربوا عنقه، فسال دمه كأنه شراك نعل مندفر وبقروا أم ولده عما في بطنها".[1]

إن هذه الجرأة من الخوارج على استحلال الدماء المعصومة والاستهانة بها، لهي أكبر دليل على جهلهم بالنصوص الشرعية والاستشهاد بها على غير محالها وهذا ما أكده الإمام البخاري فقد وضع في كتابه الجامع الصحيح: "كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم"، ووضع تحته باباً سماه "باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم"، ثم روى قول ابن عمر فقال: "وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله. وقال: "إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين".[2]

وهذه طريقة أصحاب البدع حيث يجمعون بين الجهل بالدين والاعتداء على المخالف ورميه بالكفر، قال ابن تيمية: "طريقة أهل البدع يجمعون بين الجهل والظلم فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة ويكفرون من خالفهم في بدعهم".[3]

ب. اتباع المتشابه وترك المحكم، وهو ناتج عن الجهل بحقائق الدين وقواعده الكلية وعدم المعرفة بمقاصد الشريعة وأحكامها. إن هذا الصنيع هو الذي جعل أمثال الخوارج يخرجون على علي ﷺ، ويطلقون التفكير على كل من خالفهم ولم يكن معهم في معسكرهم. فعلي ﷺ بعد معركة صفين قبل التحكيم بناء على طلب جماعة من معسكره ليفك النـــزاع بينه وبين مخالفيه ويحقن دماء المسلمين ويحافظ على

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في **المسند**، ج٥، ص١١٠.

[2] ابن حجر، **فتح الباري**، ج١٢، ص٣٥٠.

[3] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **الرد على البكري، تلخيص كتاب الاستعانة** (مصر: المطبعة السلفية، ١٣٤٦هـ)، ج٢، ص٢٥٥.

وحدتهم، فبرز هؤلاء الخوارج يتهمون علياً ﷺ بالخروج من الدين لأنه حكم الرجال في دين الله تعالى وقبل به وأخذوا يرددون هذه الكلمة المعروفة عنهم "لا حكم إلا لله" معتمدين على ظاهر قوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ (يوسف: ٤٠).

وقد رد عليهم الإمام علي ﷺ فقال: "كلمة حق يراد بها باطل".[1] وقد أرسل إليهم حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فناقشهم وحجهم في شبهتهم هذه، وبين لهم صور التحكيم في كتاب الله تعالى ومن ذلك التحكيم بين الزوجين كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ (النساء: ٣٥).

فإذا كان التحكيم حاصلاً في هذا الموطن، فهو في حقن دماء المسلمين من باب أولى. وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ذكر عنده الخوارج وما يلقون عند قراءة القرآن فقال: "يؤمنون بمحكمه، ويهلكون عند متشابهه"[2]

فمَنْ لم يحسن الفهمَ عن الله ورسوله في القرآن والحديث، ولم يقف طويلاً عندها دارساً فاحصاً متأمّلاً متفقهاً جامعاً بين أولها وآخرها، وموفقاً بين مثبتها ونافيها، ومقارناً بين خاصها وعامها أو بين مطلقها ومقيدها، مؤمناً بها كلها، محسناً الظن بها جميعاً محكمها ومتشابهها، إن من لم يفعل ذلك فما أسرع ما تضل راحلته ويعمى عليه طريقه وتضيع منه غايته، فيشرق مرة ويغرب أخرى على غير بصيرة ويخبط خبط عشواء، وهذا هو الذي وقع فيه دعاة التكفير حديثاً ووقع فيه الخوارج قديما.[3]

فالجهل بحقيقة الدين وقلة الفقه فيه سبب رئيس لظهور ظاهرة الغلو كما ذكر ذلك الإمام الشاطبي فقال: "هو الجهل بمقاصد الشريعة والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت أو الأخذ فيها بالنظر الأول، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم، ألا

---

[1] ابن حجر، **فتح الباري**، ج١٣، ص٣٥٧.

[2] المرجع نفسه، ج١٢، ص٣٧١.

[3] القرضاوي، يوسف، **الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف** (قطر: وزارة الأوقاف، شوال ١٤٠٢هـ)، ص٨٦.

ترى إلى الخوارج كيف خرجوا عن الدين كما يخرج السهم من الرمية؛ لأن الرسول ﷺ وصفهم بأنهم: يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يعني -والله أعلم- أنهم لا يتفقهون به حتى يصل إلى قلوبهم، لأن الفهم راجع إلى القلب فإذا لم يصل إلى القلب لم يحصل فيه فهم على حال وإنما يقف عند الأصوات والحروف فقط."[1] وروى البخاري أن عبد الله بن عمر كان يراهم شرار خلق الله وقال: "إنهم انطلوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين".[2]

وقد جاء التحذير من الذين يعملون بالمتشابه دون رده إلى المحكم في أحاديث كثيرة فقد ثبت في صحيح البخاري من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: تلا رسول الله ﷺ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ﴾ الآية. قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم».[3]

فاتباع المتشابه والعمل به والتعويل عليه دون رده إلى المحكم هو منهج الغلاة قديماً وحديثا؛ انظر إلى غلاة اليوم تجدهم يعتمدون على المتشابهات في تحديد كثير من المفاهيم الكبيرة، ثم يرتبون على سوء فهمهم ذاك نتائج خطيرة بل بلبلة في الحكم على الأفراد والجماعات وتقويمهم وتكييف العلاقة بهم من حيث الولاء والبراء، والمودة والعداوة، والحب والبغض واعتبارهم مؤمنين يتولونهم أو كفاراً يقاتلونهم وهذه السطحية في الفهم والتسرع في الحكم وخطف الأحكام من النصوص خطفاً دون تأمل ولا مقارنة إن هي إلا مظهر لترك المحكمات البينات واتباع المتشابهات المحتملات.[4]

---

[1] الشاطبي، **الاعتصام**، ج٢، ص١٨٢.

[2] ابن حجر، **فتح الباري**، ج١٢، ص٨٢.

[3] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب التفسير، ج٥، ص١١٦؛ مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب العلم، ج٣، ص٢٠٥٣ ، الحديث: ٢٦٦٥.

[4] القرضاوي، **الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف**، ص٨٥.

أهم الأسس التي يقوم عليها منهج أهل السنة في مدافعة الغلو في الدين

١. بيان أن الإسلام دين الوسطية والاعتدال

قام الإسلام على منهج وسط في مبادئه وأصوله الاعتقادية وشعائره التعبدية وقيمه الأخلاقية وفي في قواعده التشريعية ونظمه الاجتماعية. وهذه الوسطية تعد من أهم خصائص هذا الدين، وهي التي ميزت الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم والملل السابقة من أصحاب العقاءد والديانات التي لم تخل من إفراط أو تفريط.

ولهذا فمن المعالم الرئيسة لهذه الأمة أن الله تعالى ميزها على غيرها من الأمم بأنها أمة الوسط والعدل فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣). يقول ابن كثير عند تفسير هذه الآية: "والوسط ها هنا الخيار والأجود، كما يقال قريش أوسط العرب نسباً وداراً أي خيرها، وكان رسول الله ﷺ وسطاً في قومه أي أشرفهم نسبا، ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات، كما ثبت في الصحاح وغيرها. ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب. كما قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (الحج: ٧٨)".[1]

"فالوسط منتصف الشيء أو مركز الدائرة، ثم استعير للخصال المحمودة إذ كل صفة محمودة كالشجاعة وسط بين الطرفين الإفراط والتفريط، والفضيلة في الوسط. والمراد: الخيار العدول الذين يجمعون بين العلم والعمل".[2] وفسر الإمام الرازي الأمة

---

[1] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص١٩٠.

[2] الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** (بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م)، ج٢، ص٨-٩.

الوسط بأنهم الوسط في الدين بين الغالي والمقصر، فقال: "متوسطون في الدين بين المفَرِط والمفَرَط، والغالي والمقصر في الأشياء؛ لأنهم لم يغلوا كما غلت النصارى فجعلوا ابناً وإلهاً، ولا قصروا كتقصير اليهود في قتل الأنبياء وتبديل الكتب وغير ذلك".[1] وأكد هذا التفسير الإمام القرطبي فقال: "ولما كان الوسط مجانباً للغلو والتقصير كان محموداً؛ أي هذه الأمة لم تغل غلو النصارى في أنبيائهم ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم".[2]

وعلى هذا فوسطية هذه الأمة بين الأمم أنها خير الأمم وأعدلها وأفضلها، ولهذا ميزها الله تعالى بأن جعلها شاهدة على جميع الأمم، وأن دين هذه الأمة وسط بين جميع الأديان وخال من الإفراط والتفريط والغلو والتقصير، "فهم خيار الأمم والوسط في الأمور كلها بلا إفراط ولا تفريط في شأن الدين والدنيا وبلا غلو لديهم في دينهم ولا تقصير منهم في واجباتهم، فهم ليسوا بالماديين كاليهود والمشركين، ولا بالروحانيين كالنصارى، وإنما جمعوا بين الحقين حق الجسد وحق الروح، ولم يهملوا أي جانب منهما تمشياً مع الفطرة الإنسانية القائمة على أن الإنسان جسد وروح".[3]

ومن ثمار هذه الوسطية أن يكون المسلمون شهداء على جميع الأمم يوم القيامة، فقد أخرج الإمام البخاري رحمه الله من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يُدْعَى نوحٌ يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك، فيقول: محمد وأمته فيشهد أنه قد بلغ ويكون الرسول عليهم شهيداً، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

---

[1] الرازي، محمد بن عمر، **التفسير الكبير** (بيروت: دار إحياء التراث، د. ت)، ج٤، ص٩٨.

[2] القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ج٢، ص ١٥٤.

[3] الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٢، ص٨-٩.

وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ والوسط العدل".[1]

فهذه الأمة تشهد لجميع الأنبياء عليهم السلام على أممهم، وهذا دليل على عدالتها وفضلها وهو ما بينه الإمام ابن كثير فقال: "شهادة أمة محمد ﷺ على جميع الأمم يوم القيامة برهان على عدالة هذه الأمة وشرفها، ومضمون هذا أن هذه الأمة يستشهد بهم الأنبياء على أممهم ولولا اعتراف أممهم بشرف هذه الأمة لما حصل إلزامهم بشهادتهم".[2]

ويقول الزحيلي: "ومن غايات هذه الوسطية وثمرتها أن يكون المسلمون شهداء على الأمم السابقة يوم القيامة فهم يشهدون أن رسلهم بلغتهم دعوة الله ففرط الماديون في جنب الله وأخلدوا إلى اللذات، وحرم الروحانيون أنفسهم من التمتع بحلال الطيبات فوقعوا في الحرام وخرجوا عن جادة الاعتدال فجنوا على متطلبات الجسد.

ويؤكد ذلك أن يشهد الرسول على أمته محتجاً بالتبليغ أي أنه بلغهم شرع الله المعتدل وأنه كان إماماً مقسطاً وقدوة حسنة ومثلاً أعلى في الوسطية فلا يحيدون عنها لأنهم معرضون لإقامة الحجة عليهم من نبيهم بما أعلنه من الدين القويم وبما التزمه من السيرة الحسنة فمن حاد عنها شهد عليه الرسول ﷺ بأنه ليس من أمته التي وصفها الله بقوله ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، وبذلك خرج من الوسط إلى الانحراف ويكون حسبان شهادة الرسول بمثابة العاصم عن الانحراف والتزام الحق والعدل".[3]

ومن معاني الوسطية الخيرية أي أن هذه الأمة خير الأمم كما قال تبارك وتعالى:

---

[1] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب التفسير، باب ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾، ج٨، ص١٧١، الحديث: ٤٤٨٧.

[2] ابن كثير، إسماعيل بن كثير، **النهاية في الفتن والملاحم**، تحقيق أحمد عبد العزيز (مصر: دار التراث الإسلامية، د. ت)، ج٢، ص٩.

[3] الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٢، ص٩.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠). وقد جاء في تفسير هذه الآية ما أخرجه ابن ماجه من حديث. قال رسول الله ﷺ: «إنكم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله».[1] وأخرج الإمام أحمد في المسند من حديث علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعطيتُ ما لم يُعط أحدٌ من الأنبياء»، فقلنا: يا رسول الله ما هو؟ قال: «نُصرت بالرعب، وأعطيت مفاتيح الأرض وسميت أحمد، وجعل التراب لي طهوراً، وجعلت أمتي خير الأمم».[2] وهذه الأدلة صريحة في الدلالة على خيرية هذه الأمة.

ومن أهم ما يميزها على سائر الأمم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله تعالى، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

فبهذه الأمور الثلاثة كانت هذه الأمة خير الأمم أخرجت للناس، فأتباعها أدوا حق الله تعالى فعبدوه، وقاموا بواجب الأمر بالمعروف فدعوا الناس إلى عبادة الله سبحانه وتعالى ونهوهم عن المنكر، فكانوا سبباً لإخراجهم من ظلمات الكفر والجهل والشرك والشك إلى نور التوحيد والإيمان بالله تعالى وتحريرهم من رق عبودية العباد إلى حرية عبودية الخالق سبحانه وتعالى فنالوا بذلك صفة الخيرية بين الأمم.[3]

٢. بيان أن الإسلام دين السماحة والتيسير

من خصائص هذا الدين وسماته الرئيسة أنه دين السماحة والتيسير دل على ذلك صريح القرآن والسنة دلالة تنفى احتمال قصد المجاز والمبالغة فمن تلك الأدلة قوله

---

[1] ابن ماجه، **سنن ابن ماجة**، كتاب الزهد، ج٢، ص١٤٣١، الحديث: ٤٢٨٨، وقال الألباني: حسن، انظر **صحيح ابن ماجة**، ج٢، ص٤٢٦.

[2] أحمد في **المسند**، ج١، ص٩٨، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. انظر **المسند** بشرح أحمد شاكر، ج٢، ص١١٣.

[3] باكريم، محمد عبد الله، **وسطية أهل السنة بين الفرق** (الرياض: دار الراية، ط١، ١٤١٥هـ)، ص٢١٠.

تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥) وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨) وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ (المائدة: ٦)، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ (النساء: ٢٨).

ومن السنة حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قلّ».[1] وقال ﷺ: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة». وأوصى رسول الله ﷺ معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما لما بعثهما الى اليمن قال لهما: «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا..».[2] وفي قصة الأعرابي الذي بال في المسجد كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «دعوه وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء (أو سجلا من ماء)، فإنما بعثتم ميسرين و لم تبعثوا معسرين».[3]

وبينت عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ اتخذ التيسير في أعماله كلها، فما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، فقد ثبت في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه.."[4] وقد تقدم ذكر الأحاديث التي جاء فيها

---

[1] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الإيمان، ج١، ص١٣٦، الحديث: ٤٣؛ مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين، ص٣٩٣-٣٩٤، الحديث: ٧٨٢.

[2] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الأدب، ج١٠، ص٦٤٢، الحديث: ٦١٢٤.

[3] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الأدب، ج١٠، ص٦٤٣، الحديث: ٦١٢٨.

[4] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الأدب، ج١٠، ص٦٤٣، الحديث: ٦١٢٦.

التحذير من التشدد والغلو في الدين، وأحاديث الرفق، وكلها تدل على أن هذا الدين جاء بالتيسير والسماحة للناس جميعاً.

ومما يدل على أن أحكام الشريعة جاءت بالتيسير على هذه الأمة: الأمور الآتية:

أ. ما ثبت في الشريعة الإسلامية من مشروعية الرخص، وهو أمر مقطوع به ومعلوم من الدين بالضرورة، فإن هذا نمط من التشريع يدل قطعاً على رفع الحرج والمشقة، ولو كان الشارع قاصداً المشقة والتكليف لما كان من ترخيص ولا تخفيف.

ب.الاجماع على عدم وقوعه في التكليف، وهو يدل على عدم قصد الشارع له وهذا متقرر باستقراء آحاد الأحكام.[1]

يقول الشيخ ابن عاشور: "ولقد تأصل من سماحة الشريعة ونفي الحرج عنها ما فيه مقنع من اليقين بأن الشريعة لا تشتمل على نكاية بالأمة فإن من خصائص شريعة الإسلام أنها شريعة عملية تسعى إلى تحصيل مقاصدها في عموم الأمة وفي خويصة الأفراد، فلذلك كان الأهم في نظرها إمكان تحصيل مقاصدها ولا يتم إلا بسلوك طريقة التيسير والرفق".[2] فتقرر من خلال استقراء الشريعة أن السماحة واليسر من أهم مقاصد الشريعة إذ معنى السماحة أنها: "سهولة المعاملة في اعتدال، فهي وسط بين التضييق والتساهل، وهي راجعة إلى معنى الاعتدال والعدل والتوسط الذي هو بين طرفي الإفراط والتفريط؛ لأن ذينك الطرفين يدعو إليهما الهوى الذي حذرنا الله منه في مواضع كثيره منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص: ٢٦). وقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ (النساء: ١٧١) وقوله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ (الحديد: ٢٧)

---

[1] الشاطبي، إبراهيم بن موسى، **الموافقات في أصول الأحكام**، تحقيق وتعليق عبد الله درازة (بيروت: دار المعرفة، د. ت)، ج٢، ص١٢٢.

[2] ابن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، ج٣، ص٢٦٢.

فإن ذلك متعلق بأهل الكتاب ابتداء، ومرادٌ منه موعظة هذه الأمة لتتجنب الأسباب التي أوجبت غضب الله على الأمم السابقة وسقوطها، فالتوسط هو منبع الكمالات"،[1] وهو الذي وصف به هذه الأمة في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

والحكمة من كون السماحة من أول أوصاف الشريعة الإسلامية ومن أكبر مقاصدها -كما قرره العلامة ابن عاشور- هي "أن حكمة السماحة في الشريعة الإسلامية أن الله جعل هذه الشريعة دين الفطرة، وأمور الفطرة راجعة إلى الجبلة، فهي كائنة في النفوس سهل عليها قبولها، ومن الفطرة النفور من الشدة والاعنات، وقد أراد الله تعالى أن تكون شريعة الإسلام شريعة عامة ودائمة، فاقتضى ذلك أن يكون تنفيذها بين الأمة سهلاً، ولا يكون ذلك إلا إذا انتفى عنها الاعنات فكانت بسماحتها أشد ملاءمة للنفوس لأن فيها إراحة النفوس في حالى خويصتها ومجتمعها. وقد ظهر للسماحة أثر عظيم في انتشار الشريعة وطول دوامها فعلم ان اليسر من الفطرة لأن في فطر الناس حب الرفق".[2]

٣. الحوار والمجادلة بالحسنى

لقد اختلف علماء المسلمين في حكم المجادلة والمحاورة مع الغلاة في الدين على قولين:

أ. فطائفة من العلماء ترى عدم جواز المحاورة والمجادلة مع الغلاة وأصحاب البدع، وقد وردت مرويات كثيرة عن بعض العلماء تنهى عن ذلك ومن تلك المرويات ما رواه البيهقي عن أبي قلابة قال: "لا تجالسوا أهل الأهواء فإني لا آمن أن يغمركم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون".[3] وروي عن مصعب بن

---

[1] المرجع نفسه، ج٣، ص١٨٨-١٨٩.

[2] المرجع نفسه، ج٣، ص١٩٢-١٩٣.

[3] البيهقي، **الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ)، ص٢٣٨.

سعد أنه قال: "لا تجالسوا مفتوناً، فإنه لن يخطئك منه إحدى خصلتين: إما أن يفتنك فتتابعه أو يؤذيك قبل أن تفارقه".[1] وروى عن الحسن البصري قوله: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم".[2] وروى الإمام اللالكائي عن الإمام أحمد قوله: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين".[3]

ب. وطائفة أخرى ترى جواز المحاورة والمجادلة مع الغلاة وأصحاب البدع لما في ذلك من توضيح للحق وإزالة للشبه، فقد قال ابن عبد البر: "وأما تناظر العلماء وتجادلهم في مسائل الأحكام من الصحابة والتابعين ومن بعدهم فأكثر من أن يحصى".[4] وقال ابن رجب: "قال كثير من أئمة السلف: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوا به كفروا".[5] وبين الإمام النووي متى يكون الجدال والحوار جائزاً، ومتى يكون مذموماً فقال: "واعلم أن الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت: ٤٦). وقال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥) وقال تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (غافر: ٤). فإذا كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً، وإن كان في مدافعة الحق أو كان جدالاً بغير علم كان مذموماً، وعلى هذا التفصيل تنـــزل النصوص الواردة في إباحته وذمه".[6]

---

[1] المرجع نفسه، ص٢٣٩.

[2] اللالكائي، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة**، ص١، ص١٣٣.

[3] المرجع نفسه، ج١، ص١٥٦.

[4] ابن عبد البر، يوسف النمري، **جامع بيان العلم وفضله** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ)، ج٢، ص١٠٧.

[5] ابن رجب، عبد الرحمن بن شهاب، **جامع العلوم والحكم**، تحقيق الأرناؤوط وإبراهيم باجي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٢هـ)، ص٢٦.

[6] النووي، يحيى بن شرف، **الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار** (بيروت: دار القلم، د. ت)، ص٣٣٠.

وبين الإمام ابن تيمية متى تكون المناظرة محمودة ومتى تكون مذمومة، فقال: "المناظرة المحمودة نوعان والمذمومة نوعان؛ وذلك لأن المناظر إما أن يكون عالماً بالحق وإما أن يكون طالباً له، وإما أن لا يكون عالماً به ولا طالباً له، فهذا الثالث هو المذموم بلا ريب، وأما الأولون فمن كان عالماً بالحق فمناظرته المحمودة أن يبين لغيره الحجة التي تهديه إن كان مسترشداً طالباً للحق إذا تبين له، أو يقطعه ويكف عدوانه إن كان معانداً غير متبع للحق إذا تبين له، ويوقفه ويسلكه ويبعثه على النظر في أدلة الحق إن كان يظن أنه حق وقصده حق".[1]

وخلاصة القول إنه بد من التفريق بين أمرين مهمين:

الأمر الأول: إذا كان في المحاورة والمجادلة والمناظرة مع الغلاة وأهل البدع إظهار وإبراز للحق وتبصير للناس بما يضاده من الباطل، والخوف على العامة من الضلال، وصرف المناظر والمحاور عن معتقده الفاسد، وكشف شبهاته التي يلبس بها على الناس، في جو يراعى فيه ألا يشوش على العامة، ويناسب السامعين دون مبالغة في المناظرات ولا إسراف في متابعة النقوض والإلزامات، فهذا أمر مطلوب وهو ما لأجله أباح الأئمة المحاورات والمناظرات للغلاة وأهل البدع وبيان الحق بأدلته النقلية والعقلية.

الأمر الثاني: المبالغة في رد كل بدعة وضلالة والتهويل من شأنها بكثرة المناظرات والمحاورات، أو عدم القيام بحق المناظرة والمحاورة والمجادلة واستيفاء شروطها العلمية، مما ينتج عنه مفسدة راجحة فتنتشر الأفكار المنحرفة والمقالات البدعية ويرفع شأن أصحابها، أو لم تكن فيها مصلحة راجحة فتزداد تلك المقالات البدعية انتشاراً ويسمعها من لا فائدة له منها سواء كان من العامة أو الخاصة، وربما وجدت آذاناً صاغية وقلوباً خاوية فأثرت فيها. وهذا -والله أعلم- هو الذي حدا بالقائلين بطائفة

---

[1] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **درء تعارض النقل والعقل**، تحقيق محمد رشاد (الرياض: مطبعة جامعة الإمام ١٣٩٩هـ)، ج٧، ص١٥٦-١٧٤.

من العلماء إلى منعه وذمه فمن هذا الباب جاءت التحذيرات من المحاورات والمناظرات مع الغلاة وأصحاب البدع؛ لأنه قد ثبت أن علماء أهل السنة ناظروا وجادلوا وحاوروا الغلاة في الدين وأهل البدع، يمكن مراجعتها قي مصادرها، ولا حاجة بنا إلى جلبها هنا، ومن أشهرها مناظرة كل من عبد الله بن عباس وعمر بن العزيز للخوارج.[1]

على أن دراستنا للمحاورتين المذكورتين قد مكنتنا من استخلاص المبادئ والآداب الآتية التي نرى أن مراعاتها ضرورية للمتحاورين. ونحن نجملها في النقاط التالية:

١. أن يتفق المتحاورون على مرجعية مقبولة لديهم جميعاً، فابن عباس رضي الله عنهما بين لهم قبل المحاورة أنه جاء ليحدثهم عن أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم أعلم الناس بتأويل القرآن وتفسيره لأنهم شاهدوا التنـــزيل وأخذوا عن رسول الله ﷺ، ولهذا فالخوارج سلموا بذلك و لم يعترضوا على ابن عباس رضي الله عنهما في قوله.
٢. قبل بدأ المحاورة لا بد من ذكر جميع المسائل المختلف فيها حتى لا يخرج الحوار عنها، وإذا تبين الحق فيجب اتباعه وإقرار كل طرف عليه على ذلك.
٣. أن تكون الأدلة مقنعة وواضحة ومما يعرفه الخصم، ولا يمكن تأويله أو تشكيك في صحته حتى يسهل قبوله والتسليم به والعمل بما دلت عليه.
٤. أن لا ينتقل إلى المسالة الثانية حتى ينقض المسألة الأولى ويبين بطلانها بالأدلة النقلية والبراهين العقلية، ويقرر الخصم على بطلان فهمه، ويؤكد ذلك حتى

---

[1] انظر مناظرة عبد الله بن عباس في: عبدالرزاق، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، **المصنف**، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ)، ج١، ص١٥٧-١٦٠، رقم حديث: ١٨٦٧٨، الحاكم، **المستدرك**، ج٢، ص١٥٠-١٥٢؛ ومناظرة عمر بن عبد العزيز في: ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، ج٢، ص١٠٥-١٠٦.

لا يكون فيه نكوث أو رجوع عن الحق الذي دلت عليه الأدلة. وهكذا في كل مسألة لا ينتقل منها إلا بعد نقض أدلتها وإقرار الخصم على بطلانها، وبيان الحق الذي يجب اتباعه فيها.

ه. أن يحذر المحاور من أن ينجر إلى مسائل جزئية بعيدة عن مسائل الحوار، ولا يهتم بالإثارات الجانبية سواء كانت بالنيل من شخصه أو بذكر أشياء بعيدة عن موضوع المناظرة كما حصل لابن عباس رضي الله عنهما فقد اتهموه بأن القرآن نزل فيه وفي قومه وأنهم قوم خصمون، فلم يأبه لذلك، وإنما استمر في الهدف الذي جاء من أجله.

إن مثل هذه المبادئ والآداب في الحوار كفيلة بقبول الحق والابتعاد عن الباطل والاستمرار عليه، وفيها إقامة للحجة وإبراء للذمة وتفنيد للشبهة.

٤. بيان آثار الغلو وخطورته على الدين

تقدم أن من أول مقاصد الشريعة وأكبر أوصافها وسماتها السماحة والتيسير، وأن الشريعة الإسلامية لا تشتمل على نكاية بالأمة، فإن من خصائصها أنها شريعة عملية تسعى إلى تحصيل مقاصدها في عموم الأمة وخويصة الأفراد، ولا يتم ذلك إلا بسلوك التيسير والسماحة والرفق الذي هو أمر متسق مع الفطرة البشرية، وقد كان ذلك من أهم أسباب انتشار هذا الدين بين الناس في أنحاء المعمورة وبقاء أحكامه.

وقد جاءت التوجيهات النبوية للصحابة الكرام رضي الله عنهم ترغبهم في التيسير والتبشير بهذا الدين، وتحذرهم من التعسير والتنفير؛ لأن في هذا السلوك المشين صد عن دين الله تعالى وتنفير للناس من الدخول فيه. فقد ثبت في الحديث الذي رواه أبو بردة ﷺ قال: بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، ثم قال: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا».

وسأحاول في هذا المطلب أن أذكر بعض التوجيهات النبوية والتي جاءت تحذر من

آثار الغلو وخطورته على الدين، وتظهر تلك التنبيهات والتحذيرات في الأمور الآتية:

أولاً: التنفير من دين الله تعالى

فالتشدد والغلو ينفران من دين الله تعالى، حتى ولو كان ذلك في أهم العبادات وأعظمها وهي الصلاة. فقد حذر الرسول ﷺ من التطويل فيها الذي يسبب نفور الناس عن صلاة الجماعة، وبين أن من يفعل ذلك يكون صاداً ومنفراً عن دين الله تعالى مهما كان قصده وحاله، فقد ثبت في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كان معاذ يصلي مع النبي ﷺ العشاء أو العتمة ثم يرجع فيصليها بقومه في بني سلمه قال: فأخر النبي ﷺ العشاء ذات ليلة. قال: فصلى معاذ معه ثم رجع فأمَّ قومه فقرأ بسورة البقرة، فتنحى رجل من خلفه فصلى وحده، فقالوا له: أنافقت؟ قال: لا ولكن آتي رسول الله ﷺ فأتاه. فقال: يا رسول الله إنك أخرت العشاء، وإن معاذاً صلى معك، ثم رجع فأمنا فافتتح بسورة البقرة، فلما رأيت ذلك تأخرت فصليت وإنما نحن أصحاب نواضح نعمل بأيدينا، فأقبل النبي ﷺ على معاذ فقال: «أفتأن أنت يا معاذ؟ أفتان أنت يا معاذ؟ اقرأ بسورة كذا وسورة كذا». وفي روايةأنه قال: «اقرأ والشمس وضحاها، والضحى، والليل إذا يغشى، وسبح اسم ربك الأعلى».[1] قال الإمام النووي: "وقوله: أفتان أنت يا معاذ؟: أي منفر عن الدين وصاد عنه".[2] وفي حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فيها، فغضب رسول الله ﷺ ما رأيته غضب في موضع كان أشدَّ غضباً منه يومئذ، ثم قال: "يا أيها الناس إن منكم منفرين، فمن أم الناس فليتجوز، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة".[3]

---

[1] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الأدب، ج١٠، ص٦٣٢، الحديث: ٦١٠٦. ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الصلاة، ص٢٤٢، الحديث: ٤٦٥.

[2] النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج٤، ص١٨٢.

[3] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الآذان، ج٢، ص ٢٥٤، الحديث: ٧٠٤. ومسلم، **صحيح مسلم**، في الصحيح كتاب الصلاة، ص٢٤٣، ح٤٦٦.

ففي هذه التوجيهات النبوية تحذير من التطويل على الناس في أهم العبادات وهي الصلاة، حتى لا يكون ذلك تنفيراً لهم من دين الله تعالى، وهي وإن كان معظمها في إطالة الصلاة بالناس، فإن في ألوان الغلو والتشديد على الناس ما هو أعظم من هذا بكثير وبالتالي فإن النهي عنها أبلغ من هذه الجهة.[1]

ثانياً: تفويت الحقوق والواجبات

لقد نبه الرسول ﷺ على أن المبالغة في بعض العبادات وتجاوز الحد المشروع فيها قد يؤدي إلى تضييع الحقوق وتفويت الواجبات. فقد ثبت في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟» فقلت: بلى يا رسول الله، قال: «فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينيك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإذن ذلك صيام الدهر كله»، فشددت فشدد علي. قلت: يا رسول الله إني أجد قوة، قال: «فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ولا تزد عليه». قلت: وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام؟ قال: «نصف الدهر». فكان عبدالله يقول بعدما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ".[2] فنهى الرسول ﷺ عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن صيام الدهر؛ لأن في ذلك مشقة وتضيعاً للحقوق والواجبات، سواء في خصوص النفس أم في خصوص الآخرين. قال ابن حجر: "والسبب فيه أنه كلما ازداد من الصوم ازداد من المشقة الحاصلة بسببه المقتضية لتفويت بعض الأجر الحاصل من العبادات التي قد يفوتها مشقة الصوم".[3]

---

[1] اللويحق، عبد الرحمن معلا، **مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، الأسباب الآثار العلاج** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ)، ج٢، ص٦٩٨.

[2] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الصوم، ج٤، ص٢٧٣، حديث رقم: ١٩٧٥. ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الصيام، ص٥٨٤-٥٨٦، الحديث: ١١٥٩.

[3] ابن حجر، **فتح الباري**، ج٤، ص٢٧٥.

وقصة سلمان وأبي الدرداء مثال آخر في هذا الباب، فقد آخى النبي ﷺ بينهما فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة فقال لها: «ما شأنك؟» قلت أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا" الحديث، وفيه أن سلمان قال لأبي الدرداء: إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقا، فاعط كل ذي حق حقه. فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال له النبي ﷺ: «صدق سلمان».[1] ففي هذا الحديث فوائد كثيرة منها: النهي عن فعل المستحبات إذا كانت تؤدي إلى وتفويت الحقوق وتضيع الواجبات قال ابن حجر معلقاً على هذا الحديث: "وفيه جواز النهي عن المستحبات إذا خشى أن ذلك يقضي إلى السآمة والملل وتفويت الحقوق المطلوبة الواجبة أو المندوبة الراجح فعلها على فعل المستحب المذكور، وإنما الوعيد الوارد على من نهى مصلياً عن الصلاة مخصوص بمن نهاه ظلماً وعدواناً، وفيه كراهية الحمل على النفس في العبادة".[2]

فالمشروع في العبادة التي يحبها الله تعالى ورسوله ﷺ هو المأمور به،. أما الزيادة والمبالغة فيها التي قد توجب تضييع حقوق وتفويت واجبات فإن الشارع يحذر منها، فقد ثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فمتى كانت العبادة توجب له ضرراً يمنعه عن فعل واجب أنفع له منها كانت محرمة، مثل أن يصوم صوماً يضعفه عن الكسب الواجب أو يمنعه عن الفعل أو الفهم الواجب، أو يمنعه عن الجهاد الواجب، وكذلك إذا كانت توقعه في محرم لا يقاوم مفسدته مصلحتها، مثل أن يخرج ماله كله ثم يستشرف إلى أموال الناس ويسألهم. وأما إن أضعفته عما هو أصلح منها وأوقعته في مكروهات فإنها مكروهة. وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

---

[1] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الصوم، ج٤، ص٢٦٢-٢٦٣ الحديث: ١٩٦٨.

[2] ابن حجر، **فتح الباري**، ج٤، ص٢٦٦.

تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (المائدة: ٨٧). فإنها نزلت في أقوام من الصحابة كانوا قد اجتمعوا وعزموا على التبتل للعبادة.. فنهاهم الله سبحانه وتعالى عن تحريم الطيبات من أكل اللحم والنساء، وعن الاعتداء وهو الزيادة على الدين المشروع في الصيام والقيام والقراءة والذكر ونحو ذلك".[1]

ثالثاً: عدم القدرة على المداومة والانقطاع عن العمل

حثت السنة النبوية على فضل المداومة في الأعمال، وبينت أن أحبها إلى الله تعالى أدومها وإن قلَّ، فقد جاء في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه أنها قالت: سئل النبي ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «أدومها وإن قل». وقال: «اكلفوا من الأعمال ما تطيقون».[2]

وفي رواية مسلم قالت: كان لرسول الله ﷺ حصير، وكان يحجره من الليل فيصلي فيه فجعل الناس يصلون بصلاته ويبسط بالنهار فثابوا ذات ليلة، فقال: «يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما داووم عليه وإن قل»[3] قال الإمام النووي معلقاً على الحديث: "وفيه دليل على الحث على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق وليس الحديث مختصاً بالصلاة بل هو عام في جميع أعمال البر". وفي الحديث إرشاد من المصطفى ﷺ لأمته على ما يقدرون على المداومة عليه لأن في ذلك انشراح للعبادة بعكس الكثير الذي فيه المشقة ولا يكون فيه انشراح أثناء العبادة وقال الإمام النووي: "وفي هذا الحديث كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته؛ لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر فتكون النفس أنشط والقلب منشرحاً فتتم العبادة بخلاف من تعاطى من الأعمال ما يشق فإنه يصدد أن

---

[1] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج٢٥، ص٢٧٢-٢٧٣.

[2] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الرقاق، ج١١، ص٣٥٥، الحديث: ٦٤٦٥.

[3] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين، ص٣٩٣، الحديث: ٧٨٢.

يتركه أو بعضه أو يفعله بكلفة وبغير انشراح القلب فيفوته خير عظيم".[1]

وقال ابن حجر: "المداومة على عمل من أعمال البر ولو كان مفضولاً أحب إلى الله من عمل يكون أعظم أجراً لكن ليس فيه مداومة".[2]

فالمداومة على الأعمال تلزم صاحبها كثرةَ التردد على الطاعات بأنواعها، وفي كل وقت ولهذا فالقليل الدائم خير من الكثير المنقطع، قال الإمام النووي: "وإنما كان القليل الدائم خيراً من الكثير المنقطع لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة".[3]

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل وعندها امرأة قال: «من هذه» قالت: فلانة تذكر من صلاتها، قال: «مه، عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه».[4]

قال ابن حجر معقباً على الحديث: "وفي قوله ﷺ في جواب ذلك "مه" إشارة إلى كراهية ذلك خشية الفتور والملال على فاعله لئلا ينقطع عن عبادة التزمها، فيكون رجوعاً عما بذله لربه من نفسه".[5]

ونهى ﷺ من ألزم نفسه بعبادة تشق عليه لما يترتب على ذلك من تفويت الحقوق، وتضييع الواجبات، وعدم المداومة على فعل الطاعات، فكيف بمن اتخذ التشدد والغلو في الدين منهجاً فكفر المسلمين واستباح دماءهم وأموالهم وهدم بنيانهم

---

[1] النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج٦، ص٧١.

[2] ابن حجر، **فتح الباري**، ج١١، ص٣٦٠.

[3] النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج٦، ص٧١.

[4] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الإيمان، ج١، ص١٣٦، ح٤٣؛ مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين، ص٣٩٥، ديث رقم: ٧٨٥.

[5] ابن حجر، **فتح الباري**، ح٢، ص٤٦-٤٧.

وفرق جماعتهم ومزق وحدتهم وأحدث في الدين ما ليس منه فافترقت الأمة شيعاً وأحزاباً، فشوه بأفعاله هذه صورة الإسلام المشرقة ونفر الناس من دين الله تعالى؟

والنصوص الصريحة من القرآن والسنة تحذر من ذلك أشد التحذير قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ (النساء: ١٧١).

وقال الرسول ﷺ: «.. إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين». وقال ﷺ: «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قوماً شددوا فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديار رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم»، وقال الرسول ﷺ: «هلك المتنطعون ثلاثاً».

الخاتمة

فبعد هذه الرحلة الماتعة مع هذا الموضوع المهم «منهج أهل السنة في مدافعة الغلو في الدين» أصل إلى أهم النتائج وهي على النحو الآتي:

١. إن المنهج هو الوسيلة والطريق المؤدي إلى كشف الحقيقة، وهو يختلف باختلاف العلوم، وإن المنهجية الصحيحة لدفع ظاهرة الغلو في الدين لا بد وأن تستند إلى الفهم الصحيح للنصوص الشرعية، ومعرفة مقاصد الشريعة وقواعد الدين الكلية وما سطره سلف هذه الأمة من أقوال علمية ومواقف عملية يسهل علينا دفع ومعالجة ظاهرة الغلو بأنواعه السلوكية والفكرية والاعتقادية.

٢. إن مصطلح أهل السنة مأخوذ من النصوص الشرعية، ومأثور عن الصحابة الكرام، وقد جاء في مقابلة أهل البدعة، وأهل السنة هم المتمسكون بالكتاب والسنة والمتبعون لما كان عليه الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان.

٣. إن الغلو في الدين هو المبالغة فيه ومجاوزة الحد الشرعي فيه وله صور شتى فقد يكون فعلاً، وقد يكون تركاً، وقد يكون غلواً في الأقوال أو الأفعال، وقد يكون في الاعتقادات.

٤. يجب التحذير من الغلو والغلاة وقطع جميع الوسائل والطرق المؤدية إليه لأن الغلو في الدين سبب لهلاك هذه الأمة كما كان سبباً لهلاك الأمم السابقة.

٥. من أهم أسباب ظهور ظاهرة الغلو الجهل بحقيقة هذا الدين وعدم الفقه فيه؛ لأن الجهل يؤدي بصاحبه إلى عدم فهم النصوص الشرعية فهماً صحيحاً، فينـــزلها في غير مواضعها، فيعمل بالمتشابه دون المحكم، وهذا هو منهج الغلاة قديماً وحديثا، الأمر الذي نتج عنه ضلال كبير وفساد عظيم.

٦. إن الشدة والخشونة في التعامل والغلظة والعنف في الأقوال والتعصب للرأي وتسفيه آراء الآخرين وإطلاق التكفير على المسلمين بغير دليل بين ولا برهان واضح من أهم سمات الغلاة في الدين قديماً وحديثا.

٧. إن بيان وسطية الإسلام وتطبيقها في واقع وحياة المسلمين وإظهار سماحة هذا الدين وأنه جاء بالتيسير على الناس، وإشاعة الحوار وآدابه والمجادلة بالحسنى، وبيان خطورة الغلو وآثاره بالنسبة للفرد والمجتمع هي من أهم الأسس التي قام عليها منهج أهل السنة في مدافعة الغلو في الدين.

٨. إن من آثار الغلو في الدين وخطورته الصد والتنفير عن دين الله تعالى، وإن صاحبه غالباً ما يضيع الحقوق ويفوت الواجبات، وإن الإكثار من الأعمال والمبالغة في العبادات إذا جاوزت الحد الشرعي فإنها تؤدي إلى الانقطاع عن الطاعات، فالقليل الدائم أحب إلى الله من الكثير المنقطع.